ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: http://www.jtuh.tu.edu.iq

The Space: Ibrahim Al-Koni's *Al-tbar* as a Model

M.D. Shatha Muzaffar Mal Allah Ajaj

Ministry of Education / General Directorate of Nineveh Education / Institute of Fine Arts

* *Corresponding author: E-mail* :اميل الباحث

***Keywords*:**
space
dust
desert
place

ARTICLE INFO

Article history:
Received 22 Mar. 2021
Accepted 26 Apr 2021
Available online 29 Sept 2021
E-mail
journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.i
E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

ABSTRACT

The research deals with "space", and as we address its study (space) in the fictional discourse, we must not neglect the place, whether by referring to it or by employing it in the course of events, so that the terms (space and place) are closely related to literary studies and criticism.

The space is like the external facade, the place inside it, or its internal environment, as it refers to its various types of buildings including tents and homes in which the fictional characters live and practice their presence and their voices can be heard loud and hidden.

To clarify this interdependence between space and space, we laid out an outline of our research entitled "Space in the novel Al-Barr" in two topics, the first of which is spatial space and the second: space and the death of characters. The receiver in the intended extract.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.9.2021.06

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

الفضاء في رواية " التبر" لابراهيم الكوني أنموذجاً "

د. شذى مظفر مال الله عجاج/ المديرية العامة لتربية نينوى /معهد الفنون الجميلة

الخلاصة:

تناول البحث " الفضاء" ونحن اذ نتصدى لدراسته (الفضاء) في الخطاب الروائي لابّد لنا ان لا نهمل المكان سواء أكان ذلك بالإشارة اليه ام بتوظيفه في سير الاحداث لتلازم المصطلحين (الفضاء والمكان) دراسةً ونقداً .يُعد الفضاء بمثابة الواجهة الخارجية والمكان باطنه أو بيئته الداخلية اذ يشير بما فيها من بنايات بمختلف انماطها من خيم وديار تعيش فيها الشخصيات الروائية وتمارس وجودها وتسمعك اصواتها جهراً وخفيةً.ولتوضيح هذا الترابط بين الفضاء والمكان وضعنا مخططاً لبحثنا الموسوم " الفضاء في رواية التبر في مبحثين أولهما : الفضاء المكاني وثانيهما : الفضاء وموت الشخصيات اذ استعرضنا العلاقة

الفاعلة بين الزمان والمكان وعلاقتهما معاً بالفضاء بوصفه إشارة إلى وجود تصوّر فكري أو موقف عام أو رؤية وتلك تترك لذائقة المتلقي في استخلاص المقصود .

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل:

الفضاء مصطلح فني ظهر في الاعمال الروائية والقصصية، ولتحديده لابدَّ من الرجوع إلى المعجمات اللغوية التي لا غنى عنها لتحديد المصطلحات بدقة ويُعد معجم " لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)" انموذجاً لغوياً لتحقيق ذلك، في مادة " فضا" يحدد الفضاء" المكان الواسع من الأرض"، والفضاء الخالي الفارغ الواسع من الأرض .. والفضاء المساحة وما اتسع من الأرض"[1] إن مفهوم الفضاء بهذا المعنى الظاهر (الاتساع، الفراغ الخالي) يرتبط ارتباطاً طبيعياً بالصحراء اذ نجد قولاً آخر لتحديد المصطلح . اذ يعده صحراء بقوله " والصحراء فضاء"[2] ويجد ضالته باعتباره " الفضاء" " مرادفاً للاتساع والحرية . هو اذن الفضاء الشاسع للمكان غير المملوك، الصحراء الأرض البكر، والطليقة التي تتفجر بالمغامرة، والكشف ومواجهة الذات والطبيعة مركزه السلطة والدولة اساساً"[3]، أما مفهوم الفضاء في المصطلحات الأدبية المُعاصرة عند الأُدباء والنقاد فقد جاءت بأكثر من تعريف لتوضيح الأختلاف في المصطلح من وجهة نظرهم[4]:

1- يستعمل مصطلح (الفضاء) في السيميائية، كموضوع تام، يشتمل على عناصر غير مستمرة.

2- فضاء تقريبي ضيق يمكن التواصل من أن يتم مباشرة ما.

3- يسمح كل فضاء بتحولات مُعينة.

أرادها الكوني (الصحراء) سياسة حاكمة تمارس سلطتها، ومن هنا كانت دراستنا متضمنة العلاقة الفاعلة بين الزمان والمكان في توضيح الرؤيا والاحداث والامكنة والشخصيات كونها تتداخل معها في علاقات متبادلة، متقاطبة حيناً، ومتنافرة أحاين أخرى تحددها الأمكنة .

ونحن اذ نتصدى لمصطلح الفضاء يتحتم علينا ان لا نهمل مصطلح " المكان" وذلك كونه " أشد المصطلحات التصاقاً وتوتراً هما مصطلحا (الفضاء والمكان)[5] وعليه ارتأينا ان يكون المبحث الأول (الفضاء المكاني) تمثل بتمهيد عن مصطلح المكان وعلاقته بالاحداث والشخصيات وادراج الأماكن الواردة في النص الروائي وتصنيفها من حيث كونها، فضاءات انتقال وفضاءات تواصل .

عند فحص المعنى الدقيق للمكان وجدناه يمثل شخصية إنسانية تضاف إلى شخوص الرواية بل وتقيم علاقات مع شخوصها – والمبحث الثاني كان في الفضاء وموت الشخصيات عندما تتصاعد الاحداث تقدم في الخاتمة هدية الصحراء والموت بمشهد دموي عنيف مقتل أوخيد، التبر هدية لفك رهن الأبلق والموت كامن في الهدية .

في مستهل كل مبحث مدخل موجز يوضح العمل القائم وإعطاء صورة واضحة لكل ما قد يخفى على قارئ النص .

المطلب الأول

الفضاء المكاني

تتجدد هوية الفضاء من خلال انكشاف وتعرِّ لبواطن الشخصيات، من حلم أو رؤيا تمر بخاطر الشخصية، فتظهر السمات المكنونة والظاهرة على مستوى تواتر الاحداث التي ترتبط بالمكان كونه " لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد" وانما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد من الشخصيات والاحداث والرؤيات السردية"[6] ولفهم النص لابد من الوقوف عند تلك العلاقات بين المكان والشخصيات والاحداث والرؤى السردية التي يستكملها الفضاء الروائي . والتي افصحت عن صفة الثبات والديمومة المتجسدة في إطار الصحراء .

للمكان دورٌ فعَّال داخل السرد كونه " ليس فقط هو المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية ولكن ايضاً احد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها"[7] .

فالسرد لكي ينمو ويتطور يحتاج إلى عناصر زمانية ومكانية فلا سرد بدون فضاء زمكاني اذ " ان الروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في اطاره الشخصيات لم يسقط عليه الزمن، حيث ان الزمان لا يوجد مستقلاً عن المكان"[8] وعليه ارتباط المكان بالحدث قائم اذ استحالة الحدث بدون المكان، فـ " حيث" لا توجد احداث، لا توجد امكنة"[9]، بد أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان، ويتبنى مؤلف النص بناء المكان بشكل ينسجم وصفات شخصياته عند إذن يكون بإمكان المكان أن يكشف لنا من الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية والتي تساهم في تغييرات الأحداث التي تطرأ عليها، إذ لابد من وجود علاقة متبادلة بين المكان والشخصية التي تعيش في ذلك الفضاء، وعلاقته بالزمان لا تقل عن ذلك أهمية، فالنص الروائي يبدأ من نقطة انطلاق في زمن معين ومكان محدد كون " كل قصة تقتضي نقطة انطلاق الزمن ونقطة اندماج في المكان"[10] وعليه فالمكان رأس المثلث الذي يصل بطرفيه الشخصيات والزمن فتنشأ لدينا علاقات ثنائية المكان والزمن، المكان والشخصيات والاحداث اذ " هناك تأثيراً متبادلاً بين الشخصية والمكان الذي تضم فيه"[11] المكان/ الزمان/ الشخصيات.

المكان يحرك الخيال في ذهن كاتب النص فعند البدء بكتابة النص بوصفه " البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض في كل عمل تخيلي"[12] ويتوسع لديه الخيال ويتطور بحيث يمنح المكان عالماً مميزاً يجذب قارئ النص – والروائي وهو يقوم بتشكيل المكان في روايته التي تشابه الفنون التشكيلية من رسم ونحت للمكان"[13] لما لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي، إنّ حضور المكان في رواية التبر طاغي وهذا حال الروائي إبراهيم الكوني في كل اعماله الروائية، اذ لا يكتفي بالنظر للمكان مكوناً واحداً من مكونات الرواية وانما يجعله مكوناً خاصاً وحده، وشخصية من الشخصيات الروائية، بل بطلاً رئيساً اذ يمنحه الشخصية البطولية بوصفه " "العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل

بعضها ببعض"[14] وظف إبراهيم الكوني المكان توظيفاً جوهرياً وخيالياً يطالعنا المكان في رواية التبر، محركاً رئيساً للشخصيات التي تمتلك وجودها من خلالهِ، تحضر الصحراء بوصفها بطلاً، تمتلك خصوصية معينة فتنعكس هذه الخصوصية على نفس البطل الروائي فيميل إلى القلق والتوتر والاغتراب الا انها تمتاز في أحاين كثيرة بسمة التعددية.

الصحراء في " التبر" هي بؤرة النص فهي ليست مجرد مكان للاحداث ولكنها تستحوذ على جميع ابعاد الحدث ودلالاته ومحمولاته لتمارس سلطتها وسطوتها على الشخصية " الجاذبية ، الجاذبية، آه من جاذبية الانثى انها ذلك الجانب الخفي في المرأة . انها واضحة وبسيطة مثل الصحراء ولكن ليست ثمة شيء يفوقها غموضاً وخفاء . انها كمهمات الجن في جبل الحساونة تسمعها ولكنك لا تستطيع ان تميز الكلمات تسمع النطق ويغيب عنك المعنى هذه هي الجاذبية لا أحد يعرف ما هي وكلنها تجذب وتجذب"[15] يشكل المكان الصحراوي عنصراً شديد الأهمية والفاعلية ، اذ حاول المؤلف ان يشخصه مما يثير قارئه فجمع الانوثة والرجولة في صحرائه هذه ، اذ جعلها انثى تمتلك الجاذبية تبدو واضحة بسيطة ولكنها تخفي جانباً آخر من الغموض اذ تتكلم بلا نطق وتسمع من حولها وعندما تنطق يغيب عنك معنى قولها تلك جاذبيتها التي تصرع بها الرجال من جعلها تمتلك الجاذبية ، جاذبية انثى **(الصحراء)**

المكان يعج بالثنائيات الضدية اللامتناهية ، الذكر / الانثى ، الخير / الشر، السعادة / الشقاء، الحياة /الموت، الثواب /العقاب، الجنة /النار، الأعلى/ الأسفل، الروحي/ المادي، الذهب/ الزهد، الطعام الحيواني/ الطعام النباتي، المقدس/ المدنس، وغيرهما من الثنائيات الضدية، ولا تستقيم الا بها بوصفها " متاهة وفردوس في آن واحد ، لذا فانها تعد بالضياع وبالعثور على الذات . تعد الكنوز مثلما تنذر بالاملاق" [16] تحمل في جوهرها معانٍ عدة توظف لتحويل الشخصية الصحراوي إلى ما هو جوهري وطبيعي وأصيل في هذه الشخصية من أجل أن تحتفظ بحريتها وعفويتها في التعامل مع الضياع[17]، فهي ليست صحراء عادية بل صحراء قداسّة " **اذ لم يصب الحيوان الخيل لم يطمع في شفاء – اذا لم يذهب العقل لن ترى العافية**"[18]، " **اذا وجدت البئر غاب الدلو، واذا وجدت الدلو فلا تطمع في البئر**"[19] ، " **اذا حضر الشيء غاب نقيضه**"[20] ، **في هذه اللحظة الصغيرة الفاصلة بين الحجر الاعلى والماء الأسفل مرَّ دهرٌ كالابد ، دهر ابعد من الميلاد**"[21] العقل والجنون، البئر والدلو، حضور الشيء وغيابه، الأعلى والاسفل، الميلاد والموت متناقضات تملأ صحراء الكوني لتجرنا إلى متاهات لا نهاية لها.

تنهال الأمكنة (النجع، ديار المعشوقات خيم الحسان، الوادي السهل، المضارب، الخيمة، قرعات ميمون ...) تتعدد فهي تارةً تتباعد وتارةً اخرى تتقارب لتمتزج جميعها في بودقة واحدة، مكان واحد " الصحراء" وصحراء الكوني ليست ككل الصحارى، انها صحراء فريدة لا مثيل لها.

اتضح لدينا نوعان من الأمكنة :

1- **مكان سماوي:** فهو فضاء تتحرك في الأحداث المتشابكة وهي فضاءات زمانية ومكانية لا متناهية فهو زمن سردي أسطوري متخيل خاص بعالم الكوني، وكأنه يهرب من بحر الرمال اللا متناهي داخل قوقعته الصحراوية المعزولة.

2- **مكان ارضي:** إنه مكان الكائن البشري في عزلته ومكابته عبر الزمان والمكان، عالم مستوحش أعزل.

صحراء رمزية وأخرى فعلية – الرمزية سماوية، والفعلية أرضية ، التقسيم لا يعني انفصال الواحدة عن الأخرى ، صحراء سماوية وصحراء أرضية وانما تتبادل الادوار فتارة نجدها سماوية مقدسة وتارة أرضية مدنسة تتحول إلى دناسة بفعل " **الانثى اكير مصيدة للذكر سيدنا ادم اغوته امراءته فلعنه الله وطرده من الجنة ، ولولا تلك المرأة الجهنمية لمكثنا هناك ننعم بالنعيم ونسرح في الفردوس**"[22] يصبغ الكوني على الصحراء صفات الانوثة يجعلها شخصية هواء ويمنحها الدور الذي لعبته بإخراج سيدنا ادم من السماء الجنة إلى الأرض من الجنة القداسّة إلى الأرض الدناسّة – انتقالة من السمّاوي إلى الأرضي بفعل حواء فهي كالتي " **في الحفرة تختبئ الافاعي والعقارب تلدغ كل مستهتر عضواً من أعضائه هناك**"[23] .

تبدأ الرحلة من الصحراء إلى الواحة، وفي زمان دائري يُعيد انتاج نفسه باستمرار، الصحراء مكان له قداسته واي تغيير في تركيبه وبنيته يعني تهديد وجوده كمجتمع صحراوي.

ينتقل " اوخيد" من الصحراء بعد ان طرده ابوه باقترانه من امرأة غريبة عن قبيلته ، فينزل إلى الواحة هناك تحل المجاعة في اهل الواحة فيضطر اوخيد إلى رهن الابلق عند قريب زوجته ليتمكن من توفير لقمة العيش لزوجته وطفله ، يمرض الابلق عندها " **أناخ اوخيد ابلقه الأسود ووقف طويلاً ، يحاول ان يقرأ اسرار الصحراء في هيئة الصنم الخفي اخيراً ركع ورفع يديه وصاح : يا ولي الصحراء – اله الاولين – انذر لك جملاً سميناً ، سليم الجسم والعقل . اشف ابلقي من المرض الخبيث واحمه من جنون آسيار**[24]**– انت السميع، انت العليم**"[25]

علاج الجرب آسيار – لكن يقوده إلى الجنون

الجرب ← الجنون ← الجن

لكن الجمل لا يحتمل ويكرر محاولة الهرب والرجوع اليه ، تتضح اقصى حالات الوفاء والكمال الابلق ليس حيواناً بل صديقاً وفياً ، صاحباً يحدثه كأنه انسان "**اصبر، اصبر الحياة هي الصبر الم نتفق؟ لو صبرت نلت الشفاء اعرف ان الجن قوي ولكن الصبر اقوى من الجن، ولكن المهري لم يصبر، اشتكى بصوت عالٍ، طويل أليم: آـ آـ آـ آ**"[26]

ثم يجيء القدر بالغفلة لتتابع الاحداث وتأخذ مجرى آخر.

المطلب الثاني : الفضاء وموت الشخصيات

الفضاء له تأثيره البالغ في مصائر الشخصيات، التي لا تلبث ان تهزم امام جبروت الصحراء وسطوتها لتلاقي مصيرها المحتوم " الموت هو الوسيلة الوحيدة لمقاومة الموت واستمرار الحياة . والشخصية موجودة بلا خيار آخر سوى الموت" ليس في الحرب وحدها وحسب، بل في كل مكان، لانها اصلاً تعيش طرف الحياة، وتفكر دائماً بمواجهة الاحتمالات القصوى"[27]، ليس معنى ذلك ان الفضاء وحده هو السبب الحقيقي للموت وما يلحقه من أمور فجائعية بالشخصيات وانما تتضح هناك أسباب أخرى للموت افتتحها الكاتب بـ " ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة، وحادثة واحدة لهم موت هذا كموت ذاك ، ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لان كليهما باطل"[28]، على الرغم من القسوة والمعاناة فالصحراء عند الكوني هي الفضاء المثالي التي ينعم به الانسان بالسعادة والطمأنينة ففيها الطهر والسكينة. " ولا وقت له للانشغال بما يتعدى الحاجات الضرورية إلى الحاجات الكمالية"[29]، وعند استنطاق أنماط الفضاءات تتماثل لدينا الثنائيات الضدية البقاء/ الفناء، القداسة/ الدناسة ان وجود الذهب في الصحراء يعني القضاء عليها كصحراء وذلك " في طاعة سلطان هذه المملكة بلاد مفازة التبر يحملون اليه التبر كل سنة، وهم كفار همج ولو شاء اخذهم ولكن ملوك هذه المملكة قد تجربوا انهم ما فتح احدهم مدينة من مدن الذهب ونشأ بها الإسلام ونطق بها الاذان الا قل وجود الذهب . ثم يتلاشى الإسلام حتى يعدم، ويزداد فيما يليه من بلاد الكفار"[30] .

تتعدد صور الموت وتتابين وكذلك تختلف أسبابه وتنحصر في الأسباب الآتية:

الحروب، الأوبئة، العطش، الجوع، المال، الذهب، النذر كل هذه الأسباب تؤدي بالنهاية للموت المحتوم للشخصيات: اوخيد، دودو والأبلق. الذهب يهدد وجود الشخصيات ولا خيار امامها الا ان تطرد الذهب حاكمة عليه بالدناسة كون "القداسة هي رأس مال المجتمع الصحراوي"[31] تبدأ رحلة الموت عندما يبدأ اوخيد باسترجاع جمله من " دودو" الذي يشترط عليه لكي يعيد له الابلق، ان يطلق زوجته ويتزوجها هو، في البداية يرفض لكنه لا يلبث ان يرضخ لشرطه. يصرّ عليه دودو بقبول حفنة من التبر. فيشيع انه باع زوجته وأبنه مقابل الذهب و " **هذا عار لم تسمع بمثله الصحراء من قبل، حتى اكثر العبيد عبودية لم يبع زوجته وطفله مقابل حفنة من التبر ، حفنة من التراب، لعنة الله على الذهب**"[32] الذهب لعنة تحل عليه وتقوده إلى الموت، والنذر لعنة أخرى " **يا ولي الصحراء – اله الاولين ، انذر لك جملاً سميناً سليم الجسم والعقل والمهري لا هو بالسمين ولا العاقل ولا يملك الجسم السليم بعد، فقرر ان ينتظر حتى يكبر فيسمن ويعقل ويسلم جسمه**"[33] .

هذه الكلمات نطقها اوخيد عند ضريح الاولين ولكن ينسى النذر فتحل عليه اللعنة "**المهري لم ينسى النذر ، اوخيد هو الذي نسي النذر**"[34] اوخيد هو ليس الشخصية الرئيسة الوحيدة ، بل هناك شخصية أخرى هو الابلق، هو حيوان اعجم لا يتكلم، الكلمة الوحيدة التي ينطقها هي " **بلع اللقمة ورفض الاقتراح آع – ع – ع – ، آ – ع – ع – ع** "[35]

" يمضغ الرسن في عدوه السعيد : أو – ع – ع – ع"[36]

"يسبل الحيوان جفنيه خجلاً ويجيب في ندم : أو – و– ع – ع – ع"[37]

وفي بعض الأحيان يشتكي " لحظتها سمع العواء الأليم :

آ– آ– آ– ع – ع – ع قطع مسافة طويلة ولكن الشكوى اللوعة، الفجيعة، ادركته في الخلاء الفجيعة وحدها تصنع من رغي الجمال عواء الذئاب"[38] .

" مرّ زمان من قبل ان يسمع صوته، استغاثته: آ– آ– آع– ع– ع"[39]

عادت الاستغاثة تشق سكون الصحراء وتتردد في كل السلسلة الجبلية:

آ– آ– آ– ع – ع – ع ..."[40]

كلمة يتيمة لا معنى لها ولكنها في كل مرة تعطيك معنى جديداً فهي قبول واحتجاج . فرحة وندم شكوى واستغاثة هو حيوان اخرس لا صوت له لكنه يفهم ما يدور حوله ويتألم وألمه موجع والا ما صرخ. وهنا تؤدي الشخصيات دور البطولة (اوخيد والابلق) وذلك عندما " يتناول الابلق عشبة اسيار ، ويمضغها سيمر البطلان بتجربة فريدة من نوعها . سيجن الجمل ويقطع الاودية والوهاد والوديان ويتعلق به اوخيد مستميتاً حتى لا يضيعه"[41] بعد تناول الابلق العشبة يمر بموت رمزي فاقداً للوعي وهنا يتبادل الدور مع اوخيد اذ عندما يصحو الجمل يفقد اوخيد وعيه.

أوخيد يربط حياته بحياة المهر الآبلق فهو جليسه يصابه المهري بعدوة الجرب من نوق أحدى القبائل يبذل أوخيد الغالي والنفيس وتحمل المشاق للوصول إلى عشبة الآسيار التي تنمو في الصحراء البعيدة وتشفي من الامراض جميعها كما وصفها له أحد الحكماء، وبعد رحلة من المشاق يشفى المهري ويتزوج أوخيد من ايور الحسناء دون موافقة والدهُ وتنجب له ولداً، ثم تحل المجاعة بسبب الحرب فيرهن أوخيد أبلقهُ عند دودو ابن عم زوجته ليسد رمق جوعه وجوع أسرته، يهرب المهري من ابن عم زوجته فيقدم دودو العرض على أوخيد أن يعفيه من الرهن مقابل طلاق زوجته فيطلقها ويعطيه دودو كيساً من التبر فتنتشر قصة من يبيع زوجته بكيس من التبر فيذهب أوخيد لدودو وهو يتجهز للزواج من أيور ليلة عرسه ويقتلهُ، فيتعرض لمطاردة أبناء القبيلة الذين يأخذون المهري ويعذبونه فيستسلم أوخيد لهم فيعلقونه بين جملين يشطرانه إلى نصفين ليموت أوخيد والمهري معاً، تنتهي نهاية مأساوية بالموت.

لعنات تلاحق اوخيد لتنتهي به إلى النهاية المحتومة الموت. عدم ايفاءه بالنذر وكان يجب عليه ان ينحر الجمل الذي نذره بعد شفاء الابلق. ولكن عندما استعد الامر لنحر الجمل نجده يتراجع بعد لقاءه بأيور التي ستصير زوجته وخلافاً للوعد الذي قطعه على نفسه ينحره في حفلة العرس فاستحال عليه تنفيذ النذر نهائياً. بفقد اوخيد والده بعد اقترانه بأمراءه من غير قبيلته وبذلك يطرد من حماية والده وقبيلته، نص الكوني يرتكز على الميثولوجيا حيث قام بتوظيف الرموز والإشارات والأساطير في ثنايا الرواية ولا تضر الأسطورة عند الكوني بوصفها تناصاً إشاريات يستدعي نصوصاً في ثنايا النص ولكن يبعثها من

مرقدها (الأسطورة) ويبث فيها من روحه فيجعلها تتحدث وتتفاعل وتشكل مسار الأحداث وتؤثر على الشخصيات وتطورها وإنفعالاتها ومسلكها.

بعد تناول الابلق العشبة يبدأ ميلاد جديد ، موت الابلق وميلاده متعلقان بأسيار ، في حين موت اوخيد وميلاده متعلقين بالعطش والماء، وإذا كان الجمل يختزن الماء وقادراً على تحمل العطش والصبر فان اوخيد قد استهلك قدرته على الصبر والاحتمال وهنا نجد ان احداهما يكمل الآخر أو كأنهما شخصية واحدة أو جسدين في روح واحدة لهذا يعانقه هامساً في اذنه : " **قطعنا نصف الشوط اصبر الان سنقطع الجزء الباقي ، الأصعب بالنسبة إلى انا لا اخزن الماء مثلك. سفحت كل مائي في الطريق المجنون. الان ستنقذني سننطلق إلى اقرب بئر في الاودية السفلية. اياك ان تردني إلى الواحات سأموت في بداية الطريق. ليس في جسمي قطرة ماء واحدة أتفهم**"[42] لعنة عدم الإيفاء بالنذر ولعنة الاب ولعنة العطش ولعنة التبر الأخيرة كانت المحصلة لكل تلك الأسباب التي قادت الشخصيات نحو الموت وان السبب الحقيقي وراء كل ذلك هو (موضوعة الموت) التي جعلت من الفضاء مرتكزاً لتمثيل بشاعة الموت .

فالموت منه ما كان مرتبطاً بطبيعة هذا الفضاء الصحراوي وله أبعاد رمزية ودلالية، تموت قبائل بسبب " **العطش، العطش، قدر الصحراء الخالد الصبر اله العطش الصبر تميمة خالدة ايضاً في الصحراء. يارب هبني صبراً اذ وهبك الله الصبر في الصحراء وهبك كل شيء**"[43]

وعندما يلتقي العطش والجوع معاً يتحقق الموت لا محالة " **في الليل، حدّثه عن الجوع في الصحراء . قال ان عائلات بأكملها ماتت ودفنت في مقابر جماعية، خاصة في السنة الأخيرة، في الصحاري الجنوبية نزلت امطار شحيحة ، فحلّ الجدب مبكراً مع الصيف القاسي**"[44] والد اوخيد يواجه هذه المجاعة عندما " **اعتصم احس بالعطش، فتذكر الماء . نسي انه في خلاء مقطوع بلا قطرة ماء . هول المعركة أنساه أخطر حجاب في الصحراء الماء**"[45] وعندا تضيق به الحيل يعتصم " **بجبل الحساونة حتى مات مات بالعطش**"[46]

وفي صحراء الرواية ، المرأة والذهب ملعونان يقودان إلى الموت على الرغم من اننا لا نجد انثى في الرواية باستثناء زوجة اوخيد (ايور) لكنها كانت سبباً في الموت " **ألم تسمع كلام الشيخ موسى ؟ الانثى اكبر مصيدة للذكر سيدنا دام اغوته امرأته فلعنه الله وطرده من الجنة . ولولا تلك المرأة الجهنمية لمكثنا هناك ننعم بالنعيم ونسرح في الفردوس**"[47] الانثى فخ يرهن قلب الانسان ويوقع به في الفخ .

الذهب ملعون من الانسان والصحراء، عندما لا يجد اوخيد لنفسه مكاناً من الم العطش إلى عذاب الجوع ومن تقريع الوالد إلى كراهية الزوجة من قسوة الصحراء التي تقوده إلى رهن الابلق " **سيرهن اجمل مهري في الصحراء الكبرى**"[48] يحدث قريب زوجته (ايور) عنه يتعاقد معه على انه سيكفل رزقاً

لعائلته، وسيضمن له في الوقت نفسه الاحتفاظ بالابلق لم يفهم اوخيد معنى كلمة " رهن" في لغة التجار يودع اوخيد أبلقه على أمل العودة يحدث أبلقهُ " **لا تخف لن يطول فراقنا، سنلتقي**"[49].

الانثى (ايور زوجته) تفعل فعلتها " **ففرقته عن القبيلة وعن الابلق المرأة المرأة ، الم يقل الشيخ موسى انها هي طردت آدم من الجنة؟**[50] عندما يندم اوخيد ويصر على استرجاع ابلقه يشترط عليه " دودو" ان يطلق زوجته (أبغض الحلال عند الله) يتساءل ما علاقة هذا بذاك هنا يكمن السر الذي غاب عن اوخيد، جاء دودو لـ " **يلاحق ابنه عمّه التي احبّها منذ الصبا وحالت بينهما تدابير الدهر، فهل يملك الحق في ان يدينه؟ هل يعاديه ويقاتله لو كان هو مكانه**"[51] عندما لمع بريق الذهب في عينيه (اوخيد) حلت اللعنة خَسرِ أبلقه وزوجته وولده عندما " **تـتلألأ التبر وأعمى العيون . اشعة الغسق الصفراء انعكست على الحبيبات الصفراء فتلامع الذهب**"[52] يلتقي اوخيد بأحد الرعاة ويدور الحديث بينهما عندما يستضيفه اوخيد لشرب الشاي يتحدث الراعي " القناعة كل الفقهاء يجمعون على ادانة الطمع وأنا اصدقهم. لعنة الله على المال هل سمعت بذلك الرجل الذي باع زوجته وولده في واحة ادرار مقابل حفنة من التبر؟ جمد الدم في عروق اوخيد صرخ: ماذا؟"[53].

وهكذا يزرع الحزن في قلبه جراء العار الذي لاحقه فقد شاعت الشائعة وفضح امره في الصحراء عندها يعزم على انه لن يموت مجللاً بالعار كهذا – سيذهب إلى الوغد وسيعيد له التبر الملعون صمم على الرحيل – يقطع الطريق ولا يعي كيف قطعه ويصل الواحة ولا يذكركم ليلة استغرقتها الرحلة واصل الرحلة ليلاً ونهاراً دون توقف وعندما يصل يتوقف ليسمع " **ضجة الماء في العين. يتغسّل العريس يتغسّل يتهيأ كي يتسلل إلى فراشه لينام بجوار زوجته سرق منه زوجته**"[54] اشتراها بماله بجلاله. بالتبر. وهو باه زوجته وولده مقابل حفنه من التبر عندما توقف دودو عن العبث بالماء " **شبعّ يده وارتفعت نحو رأسه لم يصوب طويلاً ضغط على الزناد دون ان يحيد عن بصره. انبثق الدوي ولكن الرصاصة لم تصبه. انتفض وفاضت عيناه بالتوسل. فيهما ضراعة فتح شفتيه أراد ان يقول شيئاً ولكنه لم ينطق لان الطلقة الثانية اخترقت نحره . نحره بالضبط اصابته بالبلعوم فذبحته، غاب تحت الماء مفتوح العينين والشفتين. ماتت الكلمة على الشفتين . لم تمهله الرصاصة لينطق ليقول كلمته . امتزج الدم بالماء في العينين**"[55] وعندها اقترب اوخيد و "**فتح صرّة التبر وألقى بها في العين . فوق المكان الذي غابت فيه الجثة**"[56] وهكذا تلألأت المياه بالثالوث الملون اشعة الشمس الغاربة برتقالية اللون وذرات التبر اللامعة الصفراء والدم الأحمر . ثم اخترق هذا المشهد من اقصى الغرب خلف الغابة انطلقت زغرودة بعيدة – يهرب اوخيد إلى الجبل ليكون مخبأ له لكنه يتفاجأ بأنه القبر يهرع إلى مطاردته حراس دودو من نقطة ضعفه أبلقة ، يربطون الابلق ويشعلون النيران في جسده يسمع اوخيد استغاثات الجمل المريرة ولا يستطيع عليها صبراً عندئذ يقرر ان يخرج اليهم ليواجه الموت الفعلي حين ذلك يقطعون اوصاله بربطه بين جملين يسيران في اتجاهين متعاكسين، وهي الطريقة

التي انتقمت بها (تاتس) من ضرتها وعندما تتقطع اوصال جسده " **بعد فوات الأوان لانه لن يستطيع الان ابداً ان يحدّث احداً بما رأى**"[57] .

الخاتمة

بعد معاينة الخطاب الروائي في رواية التبر ، وتوضيح طريقة اشتغال الزمان والمكان يعدهما يشكلان المكونات الأساسية للخطاب الروائي فكان مدار التعامل معهما قائماً على تحليلهما كونهما يشتملان على تقنيات فنية تستخدم كأدوات في تأليف السرد الحكائي ورصد البحث عدد من :

1- الزمان والمكان له تأثيره القوي والجلي على الشخصيات الروائية ولا سيما في جانبه الأليم كاد يرتبط في اكثر مواضعه بفعل العذاب والانتحار والموت الغريب الذي يلاحق الشخصيات.

2- جعل إبراهيم الكوني من المكان مكاناً مقدساً يختلف عن الأمكنة الأخرى حيث انه اعتبر فضاء الصحراء الواسع. المكان الشاهد على تعاقب الحضارات .

3- جعل من الزمان لغة تختلف عن العالم المعاصر فهو يضيق ويتسع كما تضيق الصحراء وتتسع والصحراء بهذا المعنى هي الوجود هي فردوس العالم أو روحه والعالم بغيابها صحراء معادلة ذات دلالة قيمة .

4- ثنائية الحياة والموت – البقاء والفناء، الصحراء مرادفاً للحياة ومرادفاً للموت أيضاً فتكون مرادفة للحياة والشخصيات التي تعيش في الصحراء فهنا تكون الصحراء مرادفة للحياة مرة وللموت مرة أخرى ولكنها تقيم ذلك التواصل مع الحرية . لا تنسق الحياة ولا تستدعي الموت للشخصيات من اهل الصحراء اما التي ليس من اهل الصحراء فلا تكون الحرية التي يظهرها فضاء الصحراء الا مرادفاً للموت، فلا يمكنه تحمل فضاء الصحراء.

5- ان الزمن لا يشكل عائقاً لحركة الشخصيات اذ حركتها غير مقيدة بالزمن ، تترحك وتنتقل وتعيش وتنفعل لكنها مندمجة فيه ويكشف هذا التماهي خصوصية الطبيعة الصحراوية .

6- يوظف الكوني الأسطورة في روايته انطلاقاً من المكان والزمان معاً على الرغم من الرواية المكانية المميزة التي تمثل في روايات إبراهيم الكوني ملمحاً فكرياً للرؤيا الأسطورية المشتركة حيث تتكشف مثل هذه الرواية من خذل رواية فضاؤها الصحراء والاسطورة وهي رواية لا تقف عند حدود الجمع الآلي لسمات مذهبية وادبية متنوعة وأوضحها هنا الواقعية السحرية مذهب يحتضن كلاً من الصحراء والاسطورة ولكنا الرواية الصحراوية اذا جاز اختزال التعبير تضعنا امام استكشاف ملامح علاقة اسطورية.

هوامش البحث ومصادره:

(1) لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور، " مادة فضا"، إعداد وتصنيف يوسف خياط، ج2: 1103؛ وينظر الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي. رباعية الخسوف لابراهيم الكوني "أنموذجاً " بلسم محمد الشيباني: 17.

(2) م. ن: 17.

(3) م. ن: 86 –87 .

([4]) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، شوشبريس (عرض وتقديم وترجمة: د. سعيد علوش)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الدار البيضاء، 2000، 164–165.

(5) الفضاء وبنيته، الشيباني: 20 .

(6) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: 26 .

(7) بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: 28 .

(8) بناء الرواية ، سيزا قاسم : 104 .

(9) بنية الشكل الروائي: 30 .

(10) م.ن: 29

(11) م. ن : 44 .

(12) م. ن : 29، وينظر: الفضاء وبنيته: 47 .

(13) بناء الرواية ، سيزا قاسم : 99 .

(14) السرد الروائي في اعمال نصر الله إبراهيم ، هيام شعبان: 277 .

(15) الرواية : 68 – 69 .

(16) ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في ادب إبراهيم الكوني، سعيد الغانمي: 176 .

([17]) المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر، ط1، دار الثقافة والنشر، دمشق، سوريا: 126.

(18) الرواية : 38 .

(19) م. ن : 53

(20) م. ن : 48 .

(21) م. ن : 53 .

(22) الرواية: 24 .

(23) م.ن: 24 .

([24]) آسيار : هو نبات اسطوري يعطي طاقة هائلة انقرض من ليبيا في القرن الثالث قبل الميلاد ويجمع المؤرخون القدماء انه كان دواء سحرياً لكل الامراض المعروفة في العالم القديم وكان ملوك ليبيا القدماء يصدرونه الى مصر وما وراء البحار ويعتقد الكثيرون ان فيه يكمن سر التحنيط اذ استخدمه الفراعنة لهذا الغرض.

(25) الرواية : 33 .

(26) م.ن : 39 .

(27) ملحمة الحدود القصوى المخيال الصحراوي في ادب ابراهيم الكوني، 15 .

(28) الرواية : 9 .

(29) ملحمة الحدود القصوى : 67 .

(30) الرواية : 9.

(31) ملحمة الحدود القصوى : 68 .

(32) الرواية : 136 .

(33) م. ن : 67 .

(34) م. ن: 66 .

(35) م. ن : 93 .

(36) م. ن: 17 .

(37) م. ن : 24 .

(38) م. ن : 111 .

(39) م. ن 156 .

(40) الرواية: 157 .

(41) ملحمة الحدود القصوى: 73 .

(42) الرواية : 49 – 50 .

(43) م. ن : 43 – 44 .

(44) م. ن : 96 .

(45) الرواية: 47 .

(46) م. ن : 76 .

(47) م. ن : 24 .

(48) م. ن: 89 .

(49) م. ن : 93 .

(50) م. ن : 97 – 98 .

(51) م. ن : 163 .

(52) الرواية : 125 .

(53) م. ن : 131 .

(54) م.ن: 139 .

(55) م. ن: 141 .

(56) م. ن: 141 .

(57) الرواية: 159 .

–قائمة بالمصادر العربية المترجمة:

1- The novel Al-Tabar, Ibrahim Al-Koni, Casablanca Press.
2- Building the novel, a comparative study in Naguib Mahfouz's trilogy written by Siza Qasim Dar al-Tanir for Printing and Publishing, Beirut - Lebanon.
3- The Structure of the Narrative Form, written by Hassan Bahrawi, first edition 1990, published by the Arab Cultural Center.
4- Narration Narration in the Works of Ibrahim Nasrallah, authored by: Hayam Shaban, Irbid - 2004, Al-Kindi House for Printing and Publishing.
5- Space and its structure in critical and fictional text. The eclipse quadruple by Ibrahim Al-Koni (a model). Balsam Muhammad Al-Shaibani, Publications of the Council for the Development of Cultural Creativity - Jamahiriya, First Edition, 2004.
6- Lisan al-Arab al-Muheet by the scholar Ibn Manzur, “Material Fada,” prepared and classified by Youssef Khayat, Part 2, Beirut, Lebanon
7- The Dictionary of Contemporary Literary Terms, Chouchpress (Presentation, presentation and translation: Dr. Said Alloush), Lebanese Book House, Beirut, Casablanca, 2000.
8- The suppressed and silent one in the Arabic narration, Fadel Thamer, First Edition, House of Culture and Publishing, Damascus, Syria.

9- The epic of al-Hudud al-Aqsa al-Makhial al-Sahrawi, written by Saeed al-Ghanimi. Arab Cultural Center, First Edition, 2000, Joan of Arc Street - Al-Maqdisi Building, Lebanon-Beirut.